MESR
منار الشرق للدراسات والأبحاث
Manar Elsharq for Studies & Research
مجلة الشرق الأوسط
للدراسات القانونية والفقهية

التجديد عند الشعراوي في خطاب العقيدة من خلال تفسيره (عرض ودراسة)

م. م شيماء عبد الغني إسماعيل
كلية العلوم الإسلامية – الجامعة العراقية / العراق
shaymaa.abd.ismail@aliraqia.edu.iq

استلام البحث: 10/03/2025	مراجعة البحث: 08/04/2025	قبول البحث:08/05/2025

الملخص:

يعتبر تفسير القرآن الكريم من أهم العلوم التي شغلت العلماء والخلفاء في العلم الإسلامي، من أجل فهم القرآن الكريم وإدراك معانيه الحقيقية، وقد اشتغل في هذا النوع من العلوم الكثير من علماء القرون الأولى للهجرة، ولم يتوقف علم التفسير لآيات القرآن الكريم على الرغم من قسوة الظروف والملمات التي ألمت بالعالم الإسلامي عبر التاريخ، فقد قدم لنا أولئك العلماء معارف مهمة في تفسير الكتاب العظيم، وكان الشعراوي أحد هؤلاء العلماء الذين قاموا بتفسير الذكر الحكيم، واعتمد في كتابه على مختلف أنواع العلوم العقلية والنقلية ليخرج هذا التفسير بطريقة علمية وعقائدية صحيحة، غير أنّ كل مفسر قد جدد في صنعته ما احتاجه واقعة وعصره لعرض ما اقتنته مكامن الآيات الكريمة، وقد جدد الشعراوي في تفسيره جهات عدة، ومن هذه الجهات جهة التفسير حيث جدد خطابه مع الطوائف والفرق التي عاصرت هذا العصر الحديث، ونظرا للتطور العلمي السريع فقد تجددت نظريات علمية كثيرة منها ما أفسد عقول العامة من حيث الركون للمحسوس مما يمكن أن يحس مع إهمال بقية الجوانب الوجودية، فتعرض لتأصيل أسباب العلم، وابتكر الطرق المناسبة لإفحامهم وإفهامهم. وقد جاء هذا البحث على مبحثين تحت كل مبحث مطالب على حسب ما اقتضته حاجة التوصيف:

الكلمات المفتاحية: التجديد، الشعراوي، العقيدة، خطاب، تفسيره

Abstract

Interpretation of the Holy Quran is considered one of the most important sciences that occupied scholars and caliphs in Islamic science, in order to understand the Holy Quran and comprehend its true meanings. Many scholars of the first centuries of the Hijra were engaged in this type of science, and the science of interpretation of the verses of the Holy Quran did not stop despite the harsh conditions and calamities that befell the Islamic world throughout history. These scholars provided us with important knowledge in interpreting the great book. Al-Shaarawy was one of these scholars who interpreted the wise remembrance, and in his book, he relied on various types of rational and transmitted sciences to produce this interpretation in a correct scientific and doctrinal manner. However, each interpreter renewed in his craft what his situation and era needed to present what the hidden meanings of the Holy verses possessed. Al-Shaarawy renewed in his interpretation several aspects, and among these aspects is the aspect of interpretation, as he renewed his discourse with the sects and groups that were contemporary with this modern era. Due to the rapid scientific development, many scientific theories were renewed, some of which corrupted the minds of the general public in terms of relying on the tangible, which can be sensed, while neglecting the rest of the existential aspects. He addressed the rooting of the causes of knowledge, and devised appropriate methods. To confound and make them understand. This research is divided into two sections, each with its own demands, as :required by the description

.**Keywords:** innovation, El-Shaarawy, discourse, faith interpretation

CC BY

المبحث الأول: التجديد في طرح الشيخ الشعراوي لأسباب تحصيل العلم:

المطلب الأول: استخدام الشعراوي التعريفات بالعقل وما يتعلق به:

يعرف الشعراوي العقل لغة فيقول: العقل مأخوذ من " عقال " البعير. وعقال البعير هو الحبل الذي تربط به ساقي الجمل. حتى لا ينهض ويقوم. (1)

فكلمة العقل نفسها من العقال الذي يمنع شرود البعير، وكذلك العقل جعله الله ليضبط تفكيرك، ويمنعك من الجموح أو الانحراف في التفكير.

والعقل وسيلة من وسائل الإدراك. (2) وهو الأداة التي تستقبل المحسات وتميزها وتخرج منها القضايا العامة التي ستكون هي المبادئ التي يعيش الإنسان عليها والتي ستكون عبارة عن معلومات مخزنة، أما الفكر فهو أن تفكر في هذه الأشياء لكي تستنبط منها الحكم. (3) وسمي عقلاً، لأنه يعق صاحبه ويقيده عما لا يليق. (4) وسمي العقل لباً ليشير لك إلى حقائق الأشياء لا إلى قشورها، ولتكون أبعد نظراً، وأعمق فكراً في الأمور. (5).

ومن مهام العقل أن يفرز الأشياء، وأن يفكر فيها ليستخرج المطلوب، وأن يتدبر كل أمر، فعمليات العقل هي الاستقبال الإدراكي والبحث فيه لاستخلاص الحقائق والنتائج، وأن يتدبر الإنسان كل أمر كي يتجنب ما فيه من ضرر.(6)

هذه هي مهمة العقل أي أنه يهتدي إلى القوة التي تخلق وتدبر أمر هذا الكون ولا يغني العقل عن الرسل، ولكن العقل يؤمن في القمة الإيمانية بأن هناك قوة مبهمة عالية تناسب عظمة هذا الكون الذي طرأ عليه الإنسان، ولا يعرف اسم القوة ولا يعرف مطلوب القوة في (افعل) و(لا تفعل) ولا يعرف العقل ماذا ادخرت القوة من ثواب للمحسن وعقاب للمسيء. لذلك لا بد من وجود رسول. إن الحجة . إذن . تكون من شقين: الشق الأول: الخاص في العقل هو في الإيمان بالقوة العليا المبهمة، والشق الثاني: الخاص بالرسل هو الإيمان بالبلاغ عن الله اسماً وصفةً ومطلوباً وجزاءً. هكذا نرى فاتفقوا أيها العلماء ولا ضرورة للخلاف.

أقول ذلك حتى لا يتمادى الذين يتصيدون لدين الله: وأضيف: اتفقوا أيها العلماء على أشياء محددة لأنكم تشتتون الناس بهذه الخلافات، فالرسول هو الحجة في الأشياء التي لا دخل للعقل فيها....[7]

---

(1) تفسير الشعراوي (10 /5809).

(2) تفسير الشعراوي (14 /5897).

(3) تفسير الشعراوي (13 /7959).

(4) تفسير الشعراوي (15 / 9296).

(5) تفسير الشعراوي 18 / 11402.

(6) تفسير الشعراوي (12 /7209).

(7) تفسير الشعراوي (2/ 2849–2850).

CC BY

إن للعقل حدود في التفكير حتى لا يشطح بك، فعليك أن تضبط العقل في المجال الذي تجود فيه فقط، ولا تطلق له العنان في كل القضايا.

ومن هنا تعب الفلاسفة وأتعبوا الدنيا معهم، لأنهم خاضوا في قضايا فوق نطاق العقل، وأنا أتحدى أي مدرسة من مدارس الفلسفة من أول فلاسفة اليونان أن يكونوا متفقين على قضية إلا قضية واحدة، وهي أن يبحثوا فيما وراء المادة، فمن الذي أخبرك أن وراء المادة شيئاً يجب أن يبحث؟

لقد اهتديتم بفطرتكم الإيمانية إلى وجود خالق لهذا الكون، فليس الكون وليد صدفة كما يقول البعض، بل له خالق هو الغيبيات التي تبحثون عنها، وترمحون بعقولكم خلفها في حين كان من الواجب عليكم أن تقولوا: إن ما وراء المادة هو الذي يبين لنا نفسه.

لو أن الفلاسفة وقفوا عند مرحلة التعقل في أن وراء المادة شيئاً، وتركوا لمن وراء المادة أن يظهر لهم عن نفسه لأراحوا واستراحوا.. وقد ورد عليهم إنكارهم للبعث وقولهم: (وَقَالُوا أَئِذَا كُنَّا عِظَامًا وَرُفَاتًا أَئِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا) [1].

وبقوله تعالى: (قُلْ هَلْ مِنْ شُرَكَائِكُمْ مَنْ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ قُلِ اللَّهُ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ) [2].

وبقوله تعالى: (وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ وَلَهُ الْمَثَلُ الْأَعْلَى فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ) [3]. فإعادة الشيء أهون من خلقه أولاً.

وقف الفلاسفة طويلاً أمام قضية البعث، وأخذوا منها سبيلاً للتشكيك في دين الله...)(4).

الفلاسفة أدخلوا التصور في التعقل... ولا يمكننا أن نعرف اسم الخالق بالعقل أبداً ولا مطلوبه، بل لا بد أن يبلغ عن نفسه، فإذا انشغل العقل بأن هذا الكون العظيم لا بد له من قوة خالقة، فلماذا لا تبلغنا عن نفسها؟ وإذا ما جاء رسول من أجل أن يحل اللغز الوجودي الذي يعيشه البشر فيبلغنا أن القوة الخالقة اسمها الله. هنا أراح الحق النفس البشرية بما كانت تتمنى أن تعرفه، ومن عقل العاقل أن يفرح بمجيء الرسول ويستشرف إلى السماع عنه، لأن الرسول إنما جاء يحل اللغز الشاغل للنفس البشرية من تفسير من خلق الكون بهذه الدقة وما هي مطلوبات هذه القوة؟

ويحسم الرسول الخلاف عندهم ويحل اللغز الشاغل للبال. ولذلك نرى الإمام علي كرم الله وجهه أمام سؤال من أحدهم: أعرفت محمداً بربك؟ أم عرفت ربك بمحمد؟ فأجاب الإمام علي وكان باب العلم: لو عرفت ربي بمحمد لكان محمد أوثق عندي من ربي، ولو عرفت محمداً بربي لما احتجت إلى رسول، ولكني عرفت ربي بربي وجاء محمد فبلغني مراد ربي مني. هكذا حدد لنا سيدنا علي المسألة.

---

[1] سورة الإسراء آية: 49.

[2] سورة يونس آية: 34.

[3] سورة الروم آية: 27.

[4] ينظر: تفسير الشعراوي (14/8597-8598).

CC BY

فالعقل الفطري يؤمن بقوة مبهمة وراء هذا الكون هي التي خلقت وهي التي رزقت وهي التي أمدت بقيوميتها وقدرتها، وبعد ذلك تجيء الرسل من أجل تعريفنا باسم القوة ومطلوبها منا. والذين يختلفون حول دور العقل في الحجة ودور الرسل في الحجة، عليهم أن لا يتوهوا في متاهات نحن في غنى عنها، لأن العقل لا يمكن أن يكون الحجة بمفرده والرسول إنما هو مبلغ عن القوة. [1]

يقول الشعراوي: (يتجلى دور العقل المجرد وموافقته حتى للوحي في سيرة الفاروق عمر رضي الله عنه، وفي وجود رسول الله صلى الله عليه وسلم، وهو ينزل عليه الوحي يأتي عمر ويشير على رسول الله بأمور، فينزل الوحي موافقاً لرأي عمر، وكأن الحق تبارك وتعالى يلفت أنظارنا إلى أن العقل الفطري إذا فكر في أمر بعيداً عن الهوى لا بد أن يصل إلى الصواب، وأن يوافق حقائق الدين، أما إن تدخل الهوى فسد الفكر.

ودور العقل أن يعقل القضايا، وأن يختار البدائل، والأمر الذي لا بديل له لا عمل للعقل فيه،... وما دام العقل هو الذي يختار فهو الميزان الذي تزن به الأشياء، وتحكم به في القضايا، لذلك لا بد له أن يكون سليماً لتأتي نتائجه كذلك سليمة وموضوعية..... ولمّا كان العقل هو آلة الاختيار بين البدائل وآلة التمييز أعفى الحق سبحانه من لا عقل له من التكاليف، أعفى الطفل الصغير الذي لم يبلغ، لأن عقله لم ينضج بعد، ولأن حواسه لم تكتمل) [2].

المطلب الثاني: العلاقة بين العقل والنقل.

يقول الشعراوي: لو لم يرسل الحق الرسول لكان لهم حجة. ونقول للعلماء: لنفهم هذه المسألة حتى نوضح لكم أنكم تختلفون في أمر كان يجب عليكم ألا تختلفوا فيه. أبالعقل يعلم الإنسان مطلوب الله منه؟ أم أن العقل يهدني إلى وجود قوة أعلى خلقت هذا الكون وتدبره؟ وما اسم هذه القوة؟ وما مطلوب هذه القوة؟ أيعرف العقل ثواب من يتبع المنهج وعقاب من يخرج عن المنهج؟ كل هذه أمور لا يعرفها العقل، فالعقل حجة في الإيمان بقوة عليا فوق ذلك الكون وهي التي خلقته وتدبره وتديره، أم الرسول فهو مبلغ بمطلوبات المنهج واسم القوة التي أرسلت والشرائع التي يجب أن يسير على هادها الإنسان. إذن فليس هناك خلاف بين الرأيين [3].

ويقول الشعراوي في تفسيره لقوله تعالى: (قُلْ لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا تَلَوْتُهُ عَلَيْكُمْ وَلَا أَدْرَاكُمْ بِهِ فَقَدْ لَبِثْتُ فِيكُمْ عُمُرًا مِنْ قَبْلِهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ)[4].: حين ينبهك الحق سبحانه وتعالى إلى أن تستعمل عقلك، فهذا دليل على الثقة في أنك إذا استعملت عقلك، وصلت إلى القضية المرادة. والله سبحانه وتعالى منزه عن خديعة عباده، فمن يخدع الإنسان هو من يحاول أن يصيب عقله بالغفلة، لكن الذي ينبه العقل هو من يعلم أن دليل الحقيقة المناسبة لما يقول، يمكن الوصول إليها بالعقل، وقول

(1) تفسير الشعراوي (2/ 2849-2850)

(2) ينظر: تفسير الشعراوي (18 /11402-11404) بتصرف.

(3) تفسير الشعراوي: (5 /2848).

4 سورة يونس آية: 16.

CC BY

الحق سبحانه في آخر الآية: (أَفَلَا تَعْقِلُونَ)[1]. يدلنا على أن القضية التي كذبوا فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم نشأت من عدم استعمال عقولهم، فلو أنهم استعملوا عقولهم في استخدام المقدمات المحسة التي يؤمنون بها ويسلمون، لانتهوا إلى القضية الإيمانية التي يقولها الرسول صلى الله عليه وسلم.

فالعقل إنما جاء، ليحكم الملكات، لأن كل ملكة لها نزوع إلى شيء، فالعين لها ملكة أن ترى كل شيء، فيقول لها العقل لا داعي أن تشاهدي ذلك، لأنه منظر سيؤذيك، والأذن تحب أن تسمع كل قول، فيقول لها العقل: لا تسمعي إلى ذلك حتى لا يضرك.

إذن: فالعقل هو الضابط على بقية الجوارح، وكذلك كلمة (الحكمة)، مأخوذة من (الحكمة) وهي من (اللجام) الذي يوضع في فم الفرس، حتى لا يجمح، وتضل حركته محسوبة، فلا يتحرك إلا إلى الاتجاه الذي تريده.

إذن: شاء الحق سبحانه أن يميز الإنسان بالعقل والحكمة، ليقيم الموازين لملكات النفس، فخذوا المقدمات المحسة التي تؤمنون بها وتشهدونها وتسلمونها لرسول الله صلى الله عليه وسلم لتستنبطوا أنّه جاء بكلامه من عند الله تعالى. [2]

فالمسألة ميزان فكري يتحكم في المحسات وينظم القضايا لنرى أولاً ما يريده الله بتاً وما يريده اجتهاداً، وما دام اجتهاداً فما وصل إليه المجتهد يصح أن يعبد الله به، ولكن آفة الناس في الأمور الاجتهادية أن منهم من يتهم مخالفه، وقد تصل الحال بهؤلاء إلى رمي مخالفيهم بالكفر والعياذ بالله.

ونقول لمثل هذا: اتق الله، فهذا اجتهاد من أصاب فيه فله أجران، ومن أخطأ فله أجر... ولذلك نجد من العلماء من يعرف طبيعة الأمور الاجتهادية فنراه يقول: رأيي صواب يحتمل الخطأ ورأي غيري خطأ يحتمل الصواب. وهكذا يتعايش الجميع وتحترم الآراء.

ومن رحمة الله بعباده أن يأمرهم بالتفكر والتدبر والنظر. ذلك لأنهم خلقه سبحانه، وهم أكرم عليه من أن يتركهم للضلال والكفر بعد أن أكرمهم بالخلق والعقل، فأراد سبحانه أن يكرمهم إكراماً آخر بالطاعة والإيمان... [3]

يقول الأستاذ محمود التهامي في مجلة روز اليوسف تحت عنوان (الشعراوية دعوة قدسية): إن المنهج الشعراوي يحرص على الاحتفاظ للأصول بقدسيتها ويتعامل مع الواقع الاجتماعي بعقل متفتح وبأسلوب تقدمي بالمعنى الإسلامي[4].

المطلب الثالث: عرضه لمعنى التأويل:

أولا: معنى التأويل لغة واصطلاحاً: معنى التأويل لغة: له عدة معاني منها:

---

[1] سورة يونس آية: 16.

[2] تفسير الشعراوي: (10/5809-5810).

[3] تفسير الشعراوي (13 /7959-7960).

[4] عالم عصره في عيون معاصريه – محمد يس جزر ص / 24.

CC BY

1. الإصلاح: ويتعدى بنفسه يقال: (آله، يؤوله أولا إذا أصلحه) [1]

2- العودة والرجوع: يقال: آل الرجل عن الشيء ارتد عنه. [2]

3- التفسير: يقال أول الكلام تأويلا وتأوله: دبره، وقدره وفسره. [3]

4- العاقبة: قال ابن الفارس:(ومن هذا الباب تأويل الكلام وهو عاقبته وما يؤول إليه) [4].

وقد ورد لفظ التأويل في كثير من آيات القرآن الكريم بمعاني مختلفة فمن ذلك قوله تعالى: (فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ) [5].

فهو في هذه الآية بمعنى: التفسير والتعيين.

وقوله تعالى: (فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا)[6].

وفي هذه الآية بمعنى العاقبة والمصير.

وقوله تعالى: (هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُ يَوْمَ يَأْتِي تَأْوِيلُهُ)[7].

وقوله تعالى: (بَلْ كَذَّبُوا بِمَا لَمْ يُحِيطُوا بِعِلْمِهِ وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُ)[8]. فهو في الآيتين بمعنى وقوع المخبر به.

وفي قوله تعالى: (وَكَذَلِكَ يَجْتَبِيكَ رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ)[9].

ومنه قوله تعالى: (وَمَا نَحْنُ بِتَأْوِيلِ الْأَحْلَامِ بِعَالِمِينَ)[10]. فالمراد به مدلول الرؤيا.

وفي قوله تعالى: (قَالَ هَذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنِكَ سَأُنَبِّئُكَ بِتَأْوِيلِ مَا لَمْ تَسْتَطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا) [11].

---

[1] تهذيب اللغة للأزهري: (437/15).

[2] معجم مقاييس اللغة لابن فارس. (160/1)، التعريفات للجرجاني ص /47.

[3] لسان العرب. (11 / 33).

[4] معجم مقاييس اللغة.(162/1).

[5] سورة آل عمران آية: 7.

[6] سورة النساء آية: 59.

[7] سورة الأعراف آية: 53.

[8] سورة يونس آية: 39.

[9] سورة يوسف آية: 6.

[10] سورة يوسف آية: 44.

[11] سورة الكهف آية: 78.

CC BY

وفي قوله تعالى: (ذَلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا) [1]. فمراده بالتأويل هنا تأويل الأعمال التي أتى بها الخضر من خرق السفينة وقتل الغلام وإقامة الجدار وبيان السبب الحامل عليها وليس المراد منه تأويل الأقوال.[2]

ثانيًا: معنى التأويل اصطلاحا:

والتأويل: صرف اللفظ عن المعنى الراجح إلى المعنى المرجوح لدليل يقترن به. وهو التأويل الذي يتكلمون عليه في أصول الفقه ومسائل الخلاف[3]

ويعرفه الجرجاني: هو صرف اللفظ عن معناه الظاهر إلى معنى يحتمله إذا كان المحتمل الذي يراه موافقاً للكتاب والسنة. [4]

ثالثا: موقف الشعراوي من التأويل.

يعرف الشعراوي التأويل: بأنّه ما يرجع الشيء إليه[5].

ويقول: التأويل هو ما يؤول إليه الشيء وهو العاقبة التي بعدها الحق، فالرحمة والجنة لمن أمن والنار لمن كفر، والحق هو من يقول ويملك قوله لأن الكون كله بيده.

يقول الحق سبحانه: (هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُ) [6].

أي هل ينتظرون إلا المرجع الذي يؤول إليه عملهم؟ إن مرجعهم الأخير هو العذاب بعد الحساب يوم يأتي تأويله وغاية وعاقبة ما عملوا. [7]

وقال: التأويل هو أن ترجع الأمر إلى حكمه الحقيقي من (آل) يؤل إذا رجع. وأحسن تأويلا: تعني أحسن مرجعاً وأحمد مغبة وأجمل عاقبة [8]

يقول الشعراوي في صفات الله عز وجل: ما دمنا نأخذ صفات الله في إطار (لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ) [9]. فلا داعي للمعركة الطاحنة ين العلماء في الصفات وفي تأويل الصفات، ولا داعي أن ينقسم العلماء إلى عالم يؤول الصفات

---

[1] سورة الكهف آية: 82.

[2] التفسير والمفسرون. للذهبي.(1/ 18-19).

[3] التفسير والمفسرون للذهبي: (19/1).

[4] التعريفات للجرجاني: (ص/47).

[5] تفسير الشعراوي: (10 / 5942).

[6] سورة الأعراف آية: 53.

[7] تفسير الشعراوي: (7 / 4158).

[8] تفسير الشعراوي: (4 / 2361).

[9] سورة الشورى آية: 11.

CC BY

وعالم لا يؤول. لا داعي أن يقول عالم: إن يد الله هي قدرته فيؤول، وعالم آخر لا يؤول ويقول: إن لله يد ويسكت. ونقول للعالم الذي يؤول. قل: إن لله يدا وهي تناسب قوله: (لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ) [1]. [(2)]

ويقول: والذين يمنعون التأويل يقولون: إياك أن تؤول اليد بالقدرة، لأنه إن قال إن له يداً. فقل ليست كأيدينا في إطار (لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ) [3]. لأنه سبحانه له حياة وأنت لك حياة. أحياته كحياتك؟ لا. فلماذا إذن تجعل يده مثل يدك؟ إذن لابد أن ندخل على كل صفة لله فننفي عنها التعطيل وننفي عنها التشبيه. ثم إن من يمنعون التأويل نقول لكل منهم: أنت ستضطر أخيرا إلى أن تؤول. لإن الحق يقول: (هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ لَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ)[4]. وما دام كل شيء هالك إلا وجهه. فكل ما يطلق عليه شيء يهلك ويبقى وجهه سبحانه فقط. ولو أنت قلت الوجه هو هذا الوجه. فكأن يده تهلك ورجله تهلك وصدره يهلك. وحاشا لله أن يحدث ذلك وتكون قد دخلت في متاهة مالها آخر. لذلك نقول: لنأخذ النص وندخله في إطار (لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ) [5]. ونجد الشعراوي يقول عند تفسيره لقوله تعالى:

(بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنْفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ) [6]. يقول: وهو يعطي من يريد، وكلمة (اليد) في اللغة تطلق على الجارحة وتطلق على النعمة، فيقول الرجل: إن لفلان على يداً لا أنساها، أي أنه قدم جميلاً لا ينسى. واستعملت اليد بهذا المعنى لأن جميع التناولات تكون باليد.

وهناك من يقول: إن لله يداً ولكن ليست كأيدينا لأننا نأخذ كل ما يأتي وصفا لله على أنه (لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ)[7]. والتأويل ممكن. مثلما بين الحق أنه قد صنع موسى على عينيه...)[(8)] إلى غير ذلك وسيأتي تفصيل ذلك في مبحث الأسماء والصفات.

رابعًا: مناقشة آراء الشعراوي في التأويل:

1- الشعراوي عرف التأويل بمعنى المرجع والعاقبة والمآل، كما عرفه السلف الصالح.

2- أثبت الشعراوي ما وصف الله به نفسه وما وصف به رسول صلى الله عليه وسلم من الأسماء والصفات موافقاً لأهل السنة والجماعة على إثبات ما وصف الله به نفسه وما وصف به رسول صلى الله عليه وسلم من الأسماء والصفات، وإقرار نصوصها بدون تأويل ولا تحريف ولا تعطيل ولا تكييف.

---

[1] سورة الشروى آية: 11.

[(2)] تفسير الشعراوي: (5/ 2846).

[3] سورة الشروى آية: 11.

[4] سورة القصص آية: 88.

[5] سورة الشروى آية: 11.

[6] سورة المائدة آية: 64.

[7] سورة الشروى آية: 11.

[(8)] تفسير الشعراوي: (6/ 3265).

CC BY

المطلب الرابع: آراؤه في الكشف والإلهام:

أولا: الكشف لغة: رفع الحجاب [1] الكاف والشين والفاء: أصل صحيح يدل على سرو الشيء كالثوب يُسرى عن البدن، يقال كشفت الثوب وغيره أكشفه. والكشف: رفعك الشيء عما يواريه، ويغطيه وكشف الأمر يكشفه كشفاً: أظهره. [2]

الكشف اصطلاحاً: الاطلاع على ما وراء الحجاب من المعاني الغيبية والأمور الحقيقية وجوداً وشهوداً. [3]

قال السراج الطوسي: الكشف: بيان ما يستتر على الفهم، فيكشف عنه للعبد، كأنه رأي العين ((ثم إن هذا الانكشاف يبدأ بالمحاضرة، وهي أول مراتب رفع الحجاب، وينتهي بالمشاهدة، وهي أقصى مراتب الكشف، الذي هو المعرفة بالله وبصفاته، وأفعاله وأسرار ملكوته وفي أكمل رتب المعرفة، وأتمها.....)).[4]

والكشف: لفظ عام يشمل في اصطلاح الصوفية الكشف عن الأمور الكونية والشرعية، ويدخل تحت مسماه أنواع، ولكل نوع درجات، ..... ومنها: رؤية النبي صلى الله عليه وسلم يقظة بعد موته، ورؤية الخضر عليه السلام، والإلهام، والفراسة [5]، والهواتف [6] والمعاريج [7] والكشف الحسي [8]، والرؤى المنامية، وهذه الأنواع يشملها الكشف بمعناه العام.[9]

ثانيا: عرضه لمعنى الإلهام:

الإلهام ما يلقى في الروع بطريق الفيض[10].

وقيل الإلهام ما وقع في القلب من علم و هو يدعو إلى العمل من غير استدلال بآية و لا نظر في حجة. و هو حجة عند الصوفية وليس بحجة عند العلماء[11].

---

[1] التعريفات للجرجاني (150).

[2] لسان العرب (9 / 300). ومعجم مقاييس اللغة (5 / 18 – 182) مادة: كشف.

[3] المعجم الصوفي. تأليف د. عبد المنعم الحفني – دار الرشاد – القاهرة الطبعة الأولى 1417 هـ، 1997م , (208) – التعريفات للجرجاني (150).

[4] المصادر العامة للتلقي عند الصوفية – د. صادق سليم صادق مكتبة الملك فهد الوطنية الرياض – الطبعة الثانية 1427هـ – 2006 م ص (230).

[5] الفراسة: خاطر يهجم على القلب ، فيتقي ما يضاده، و له على القلب حكم، اشتقاقاً من فريسة السبع، و كل من كان أقوى إيماناً: كان أشد فراسة. وقيل: سواطع أنوارلمعت في القلوب، و تمكين معرفة حملت السرائر في الغيوب، من غيب إلى غيب حتى يشهد الأشياء من حيث أشهده الحق – سبحانه و تعالى – إياها، فيتكلم على ضمير الخلق. ينظر الرسالة القشيرية. ص / 105

[6] الهواتف: عرفه الغزالي بأنه: لفظ منظوم، يقرع السمع، لمن صفا قلبه في اليقظة. ينظر إحياء علوم الدين " 2 / 268 " والتعريف الجامع: سماع خطاب بواسطة الأذن، يسمع الصوت، ولا يدري من صاحبه، بمنزلة الأعمى، يسمع خطاب ولا يدري المتكلم به، وقد يكون يقظة أو مناماً أو بين ذين، ينظر المصادر العامة. د. صادق سليم / 190.

[7] المعاريج: يقول الشعراني: قد صرح المحققون بأن للأولياء الإسراء الروحاني إلى السماء، بمثابة المنام يراه الإنسان ،ولكل منهم مقام معلوم لا يتعداه ،وذلك حيث يكشف له حجاب المعرفة فكل مكان يكشف فيه الحجاب، حصل المقصود به، فمنهم من يحصل له ذلك بين السماء والأرض، ومنهم من يحصل له ذلك في سماء الدنيا، ومنهم من ترقى روحه إلى سدرة المنتهى ينظر. المصادر العامة د: صادق سليم (195).

(8) الكشف الحسي: هو الكشف عما وراء الحجب الحسية العلوية منها و السفلية، والاطلاع على حقائق الموجودات – من العرش إلى الفرش – إما بعين البصر، أو بعين البصيرة أو بهما معاً. ينظر. المصادر العامة. د. صادق سليم. 207.

[9] المصادر العامة للتلقي عند الصوفية – د. صادق سليم 134.

[10] الفيض: الفيض عند الصوفية هو ما يفيده التجلي الإلهي فإن ذلك التجلي هيولاني الوصف وإنما يتعين ويتقيد بحسب المتجلي فإن كان المتجلي له عيناً ثابتة غير موجودة يكون هذا التجلي بالنسبة إليه تجلياً وجودياً فيفيد الوجود وإن كان المتجلي له وجوداً خارجياً كالصورة يكون التجلي بالنسبة إليه بالصفات ويفيد صفة غير الوجود كصفة الحياة ونحوها والفيض الأقدس عبارة عن التجلي الحسي الذاتي الموجب لوجود الأشياء واستعداداتها في الحضرة العلمية ثم العينية. ينظر/ معجم مصطلحات الصوفية.(208).

[11] المصادر العامة للتلقي عند الصوفية. صادق سليم.(112).

CC BY

والعلم الإلهامي عند الغزالي علم وهبي و هو إما يكون وحياً للأنبياء والمرسلين، وإما يكون إلهاماً للأولياء و الصالحين.[1]

ويقول الشنقيطي: (الإلهام يكون في القلب يقتضي معرفة يقينية مع الجزم بأنها من قبل الله تعالى وقد يكون الإلقاء بواسطة ملك و قد يكون بغير واسطة). [2]

ثالثا: أقوال أهل الفيض والكشف

ويستدل الشعراوي بأقوال أهل الفيض والكشف ويكثر من ذلك ومنها:

يقول أهل الكشف وأهل اللماحية وأهل الفيض: اجعل طاعتك لمن لا تستغنى عنه واجعل شكرك لمن لا تنقطع نعمه عنك واجعل خضوعك لمن لا تخرج عن ملكة وسلطانه.(3)

وقال: نحن نعرف أن واحداً قال لعارف بالله: أتحسن لمن أساء إليك ؟ فقال العارف بالله: أفلا أحسن لمن جعل الله في جانبي ! (4)

ويقول قصصنا قصة من قصص العارفين بالله حين يجلسون مع بعضهم البعض كوسيلة تنشيط إلى غايات و أهداف سامية. والعارف بالله من هؤلاء الصالحين استقبل الأحسن منه في العبادة بالضحك أما الأحسن منه في أمور الدنيا فيستقبله بالتكشير وقال واحد منهم لأخر: أتشتاق إلى ربك ؟ فرد عليه: لا تسأل الأخر كيف تقول كذلك ؟ قال له: نعم. إنما يشتاق إلى غائب.(5)

وذكر أن أهل الإشراق والشطح (6) يتلاعبون بالمواجيد النفسية فيقول واحد منهم: يعلم الله أني لست أذكرهم. وحين يسمع الإنسان مثل هذا القول قد يوجه لصاحبه التأنيب والنقد العنيف. لكن القائل يحلل الأمر التحليل العرفاني فيكمل بيت الشعر بالشطر الثاني إذ كيف أذكره إذ لست أنساه. (7)

وبعض العارفين بالله قد يكشف لهم الله لمحة من لمحات الغيب فيخبر الواحد منهم الناس. فيخلف الله سبحانه وتعالى ما كشفه. حتى يظن الله وحده عالم الغيب. فما دام ذلك الذي اصطفاه الله بغيب أطلع الناس عليه فسبحانه مغير أحداث الغيب ولا يعطي لذلك الشخص خبراً عن أي غيب أخر. (8)

وقال: إن أهل الأدلة. علموا علم اليقين. وأهل المرائي والمشاهدات علموا عين اليقين. وأهل الفيوضات والتجليات وصلوا إلى حق اليقين والمؤمنون بالله يقول الواحد منهم: أنا بمجرد علم اليقين موقن تماماً ولا أنتظر حق اليقين لأني لأجرى على التكذيب. لذلك نجد أن سيدنا الإمام علياً يقول لو انكشف عني الحجاب ما أزدت يقيناً. (9)

---

(1) المعجم الصوفي – د عبدالمنعم الحفني: (30). التعريفات للجرجاني (34).

(2) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن– للشنقيطي– تحقيق– هاني الحاج – المكتبة التوفيقية– القاهرة – مصر (59/4).

(3) تفسير الشعراوي: (4/ 1945)

(4) تفسير الشعراوي: (4/ 1718)

(5) تفسير الشعراوي: (7/ 4479)

(6) الشطح: عبارة عن كلمة عليها رائحة رعونة ودعوة تصدر من أهل المعرفة باضطرار واضطراب. وهو من زلات المحققين. فإنه دعوى حق يفسح بها العارف لكن من غير إذن إلهي. بطريق يشعر بالنباهة. ينظر/ التعريفات للجرجاني ص 107. .

(7) تفسير الشعراوي: (5/ 2981).

(8) تفسير الشعراوي: (8/ 5018).

CC BY

ثم قال: اسمع على هذا الحوار الذي دار بين أهل المعرفة من الزهاد وكيف كانوا يتبارون في الوصول إلى هذه المراقي الإيمانية ويتنافسون فيها لا عن مباهاة ومفاخرة إنما النية خالصة في الرقي الإيماني.

يسأل أحد هؤلاء المتمكنين صاحبه: كيف حال الزهاد في بلادكم ؟ فقال: إن أصابنا خير شكرناه. وإن أصابنا شر صبرنا وضحك الشيخ وقال وما في ذلك ؟! إنه حال الكلاب في بلخ أما عندنا: فإن أصابنا شر شكرنا.

وهذه ليست مباهاة إنما تنافس. فكلا الرجلين زاهد سالك لطريق الله. يرى نفسه محسوباً على هذا الطريق. فيحاول أن يرتقي فيه إلى أعلى مراتبه[1].

ونحن نتناقل الآن ونروي بعض حوارات السالكين وأهل المعرفة وأصحاب الفيوضات الذين فهموا على الله وتذوقوا لذة قربة. وكانوا يتحاورون و يتنافسون للترقي في القرب من الله. [2]

رابعا: كشف الحجاب:

كما يرى الشعراوي أن الرسول صلى الله عليه وسلم كشف له حجاب الزمان والمكان والمستقبل.

يقول في ذلك: لقد كشف الحق سبحانه للرسول حجاب الزمان وحجاب المكان ومن ينكشف له حجاب الزمان والمكان إنما ينكشف له حجاب المستقبل أيضاً. والذي كشف هذا هو الحق سبحانه الذي قدر مجي هذا العالم. وما سوف يحدث فيه إلى أن تقوم الساعة.

وقد طمر [3] الحق سبحانه في القرآن أموراً لو كشف عنها في زمن بعثة الرسول. لكن الحديث عنها فوق مستوى العقول والإدراك..... وهكذا نعلم أن كل المكتشفات كانت موجودة في الكون ومطمورة فيه. وجعل الله تعالى لكل مستور منها ميلاداً..... وقد يأتي هذا الميلاد بكشف وبحث. وقد أظهره الله بدون بحث أو إظهار بالصدفة.....)[4]

ويقول: أسرار الكون التي كانت غيباً موقوتاً، مثل جاذبية الأرض، والسالب والموجب في الكهرباء، وتلقيح الرياح للسحاب لينزل المطر، كل ذلك كان غيباً في زمن ما، ثم شاء الحق سبحانه وتعالى فحدد لكل أمر منها ميعاد كشف، فصارت أموراً مشهودة.

وقد شاء الحق سبحانه ذلك، ليعمل الإنسان ويجتهد ليكشف أسرار الكون، ومن العجيب أن الباحث قد يعمل من أجل كشف معين، فيصادف كشفاً آخر، لأن الله تعالى قد أذن لذلك الكشف لذي كان غيباً أن يولد، وأن لم يبحث عنه أهل الأرض.

وأغلب أسرار الكون تم اكتشافها صدفة، لنفهم أن عطاء الله بميلادها دون مقدمات من الخلق – أكثر مما وصل إليه بالعطاء من مقدمات الخلق، ولذلك تجد التعبير الأدائي في القرآن عن لوني الغيب، تعبيراً دقيقاً لنفهم أن هناك غيباً عن الخلق جميعاً وليست له مقدمات، ولا يشاء الله سبحانه له ميلاداً، واستأثر الله بعلمه، فلا يعلمه إلا هو سبحانه.

---

[9] تفسير الشعراوي: (5/ 3193).

[1] تفسير الشعراوي: (16/ 9729).

[2] تفسير الشعراوي: (16/ 9752).

[3] طمر: طمر الشيء – خبائه. والمطمورة صغيرة تحت الأرض أو مكان تحت الأرض قد هيئ خفيةً يطمر فيها الطعام والمال, أي يخبأ , ينظر / لسان العرب: (502/4)– مادة طمر.

[4] تفسير الشعراوي: (11/ 6792-6795).

CC BY

يقول الحق سبحانه: (يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ) [1]. هذا هو الغيب الذي يكشفه الله سبحانه لهم، إما بالمقدمات، أو بالصدفة. وقد نسب المشيئة له سبحانه، والإحاطة من البشر، وهذا هو غيب الابتكارات، أما الغيب الآخر الذي لا يعلمه أحداً إلا هو سبحانه وتعالى، ولا يجليه إلا الرسول صلى الله عليه وسلم، فيقول الحق عنه: (إِلَّا مَنِ ارْتَضَى مِنْ رَسُولٍ) [2].

إذ أن الحق سبحانه وتعالى يفيض من غيبه الذاتي على بعض خلقه، والقرآن الكريم فيه الكثير من الغيب، وأفاضه الله تعالى على رسول الله صلى الله عليه وسلم، وتحققت الأحداث كما جاءت في القرآن.... " (3)

ويقول: " لو أن القرآن قد أعطى كل أسراره في أول قرن نزل فيه، فكيف يستقبل القرون الأخرى بدون سر جديد ؟ إذن، فكلما ارتقى العقل البشري، كلما أذن الله بكشف سر من أسرار القرآن....." (4)

خامسا: الإلهام

يرى الشعراوي أنه وارد لغير الأنبياء إذا صادف آلة استقبال سليمة؛ يقول: "فالوحي إلى الرسول هو الوحي الشرعي بواسطة رسول مبلغ عن الله هو سيدنا جبريل عليه السلام. أما وحي الله إلى أم موسى وإلى الحواريين فهو استقرار خاطر إيماني يلتقت بعده الموحى إليه ليجد الواقع يؤيد ذلك. وعندما لا يصادم إلهام القلب أمراً واقعاً ولا يجد الإلهام ما يصادمه في نفس الإنسان، فهذا لون من الوحي أي هو إعلام بخفاء. كأن يتوقع الرجل مقدم صديق من سفر، أو لوناً من الطعام يشتهيه فيجده على المائدة.

إذن فالإلهام وارد من الله لخلق الله مادام لا يصادم شيئاً في النفس أو في الواقع لأن الإلهام الذي يقابل صداماً ليس من الله، فالشياطين يوحى بعضهم إلى بعض زخرف القول غروراً". (5)

وقال:" والإلهام وارد بالنسبة لمن هم غير أنبياء، مثلما أوضحنا الأمر الذي حدث مع أم موسى حيث أوحى لها الله أن تلقيه في اليم " (6)

يقول الشعراوي: إذا صادف الإلهام آلة استقبال سليمة فإنه لا يوجد في النفس ما يصادره، ولا ما يبحث عن دليل، فقامت أم موسى ونفذت الأمر كما ألقي إليها..... ومن ذلك قوله تعالى: (فَوَجَدَا عَبْدًا مِنْ عِبَادِنَا آتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنَا وَعَلَّمْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا عِلْمًا) [7]. والعبد الصالح لم يكن نبياً، ومع ذلك أتاه الله بدون واسطة، فكان هو معلماً للنبي، وما ذلك إلا لأنه عبداً لله على منهج موسى، وأخلص لله تعالى فأتاه الله من عنده. واقرأ قوله الله تعالى (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تَتَّقُوا اللَّهَ يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقَانًا)[8]. وقال سبحانه: (وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى وَآتَاهُمْ تَقْوَاهُمْ)[9]. فكل ما علينا لنأخذ إلهامات الحق

---

[1] سورة البقرة آية: 255.

[2] سورة الجن آية: 27.

(3) تفسير الشعراوي: (10 / 6024 – 6026)، (18 /11233).

(4) تفسير الشعراوي: (12 / 7632).

(5) تفسير الشعراوي: (6/ 3459).

(6) تفسير الشعراوي: (6880/11).

[7] سورة الكهف آية: 65.

[8] سورة الأنفال آية: 29.

[9] سورة محمد آية: 17.

CC BY

سبحانه أن نحتفظ بصفاء البنية التي خلقها الله لتظل بمواصفات خالقها، ثم نسير بها على منهجه تعالى في افعل ولا تفعل..... إلى أن قال: فمن يحافظ على مواصفات التكوين بمنطق الله يأخذ من الله مباشرة..... وإذا أحسن الإنسان لربه دوام الله عليه فضله ووالى إليه فيضه(1).

المبحث الثاني: التجديد في استعمال الأدلة المادية على وجود الله.

تمهيد: علماء المسلمين لم يكونوا جميعاً على مبدأ واحد بالنسبة للآراء الفكرية الفلسفية، بل وُجِد منهم مَن وقف منها موقف الرفض وعدم القبول، كما وُجِد منهم مَن وقف موقف الدفاع عنها والقبول لها، وكان من هؤلاء وهؤلاء أثر ظاهر في تفسير القرآن الكريم.

ظهرت آثار الثقافات العلمية للمسلمين في تفسير القرآن الكريم، وكيف حاول هؤلاء العلماء المتقدمون أن يجعلوا القرآن منبع العلوم كلها، ما جَدَّ وما يَجِدّ إلى يوم القيامة، ولو أنَّا تتبعنا سلسلة البحوث التفسيرية للقرآن الكريم لوجدنا أن هذه النزعة – نزعة التفسير العلمي – تمتد من عهد النهضة العلمية العباسية إلى يومنا هذا، ولوجدنا أنها كانت في أول الأمر عبارة عن محاولات، يُقصد منها التوفيق بين القرآن، وما جَدَّ من العلوم، ثم وُجِدت الفكرة مركَّزة وصريحة على لسان الغزالي، وابن العربي، والمرسى، والسيوطي، ولوجدنا أيضاً أن هذه الفكرة قد طُبِّقت علمياً، وظهرت في مثل محاولات الفخر الرازي، ضمن تفسيره للقرآن[2].

وبعد اطلاع بعض المسلمين على كتب الفلسفة لم يعجبهم أكثر ما فيها من نظريات وأبحاث؛ لأنّهم وجدوها تتعارض مع الدين، ولا تتفق معه بحال من الأحوال، فكرَّسوا حياتهم للرد عليها، وتنفير الناس منها، وكان على رأس هؤلاء: الغزالي، وفخر الدين الرازي، الذى تعرَّض في تفسيره لنظريات الفلاسفة التي تبدو في نظره متعارضة مع الدين، ومع القرآن على الأخص، فردَّها وأبطلها بمقدار ما أسعفته الحُجَّة، وانقاد له الدليل[3].

المطلب الأول: استعراض للموجودات الدالة على وجود الخالق:

قال الشعراوي رحمه الله تعالى: والعاقل حين يسمع كلمة كفر.. يجب عليه أن يتنبه إلى أن معناها ستر لوجود واجب الوجود.. فكيف يكفر الإنسان ويشارك في ستر ما هو موجود.. لذلك تجد أن الحق سبحانه وتعالى يقول: (كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنْتُمْ أَمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ)[4].

وهكذا يأتي هذا السؤال.. ولا يستطيع الكافر له جوابا!! لأن الله هو الذي خلقه وأوجده.. ولا يستطيع احد منا أن يدعي انه خلق نفسه أو خلق غيره.. فالوجود بالذات دليل على قضية الإيمان.. ولذلك يسألهم الحق تبارك وتعالى كيف تكفرون بالله وتسترون وجود من خلقكم؟

(1) تفسير الشعراوي: (19 /11610 – 11614) باختصار.

2- التفسير والمفسرون، محمد حسين الذهبى ص4/ 386.

3-التفسير والمفسرون، محمد حسين الذهبي: (348/4).

4- سورة البقرة آية: 28 .

والخلق قضية محسومة لله سبحانه وتعالى لا يستطيع أحد أن يدعيها.. فلا يمكن أن يدعي أحد أنه خلق نفسه.. قضية أنك موجود توجب الإيمان بالله سبحانه وتعالى الذي أوجدك.. انه عين الاستدلال على الله.. واذا نظر الإنسان حوله فوجد كل ما في الكون مسخر لخدمته والأشياء تستجيب له فظن بمرور الزمن أن له سيطرة على هذا الكون.. ولذلك عاش وفي ذهنه قوة الأسباب.. يأخذ الأسباب وهو فاعلها فيجدها قد أعطته واستجابت له.. ولم يلتفت الى خالق الأسباب الذي خلق لها قوانينها فجعلها تستجيب للإنسان..

وقد أشار الحق تبارك وتعالى إلى ذلك في قوله جل جلاله: (كَلَّا إِنَّ الْإِنْسَانَ لَيَطْغَى (6) أَنْ رَآَهُ اسْتَغْنَ) [1]. ذلك أن الإنسان يحرث الأرض فتعطيه الثمر.. فيعتقد انه هو الذي اخضع الأرض ووضع لها قوانينها لتعطيه ما يريد.. يضغط على زر الكهرباء فينير المكان فيعتقد انه هو الذي أوجد هذه الكهرباء! يركب الطائرة.. وتسير به في الجو فيعتقد انه هو الذي جعلها تطير.. وينسى الخصائص التي وضعها الله سبحانه وتعالى في الغلاف الجوي ليستطيع أن يحمل هذه الطائرة.. يفتح التليفزيون ويرى أمامه أحداث العالم فيعتقد أن ذلك قد حدث بقدرته هو.. وينسى أن الله تبارك وتعالى وضع في الغلاف الجوي خصائص جعلته ينقل الصوت والصورة من أقصى الدنيا إلى أقصاها في ثوان معدودة.. وهكذا كل ما حولنا يظن الإنسان أنه أخضعه بذاته.. بينما كل هذا مسخر من الله سبحانه وتعالى لخدمة الإنسان.. وهو الذي خلق ووضع القوانين.. نقول له انك لو فهمت معنى ذاتية الأشياء ما حدثتك نفسك بذلك.. الشيء الذاتي هو ما كان بذاتك لا يتغير ولا يتخلف أبدا.. إنما الأمر الذي ليس بذاتك هو الذي يتغير.. واذا نظرت إلى ذاتيتك تلك التي أغرتك وأطغتك.. ستفهم أن كلمة ذاتية هي ألا تكون محتاجا إلى غيرك بل كل شيء من نفسك.. وأنت في حياتك كلها ليس لك ذاتية.. لأن كل شيء حولك متغير بدون إرادتك.. وأنت طفل محتاج إلى أبيك في بدء حياتك.. فاذا كبرت وأصبح لك قوة واستجابت الأحداث لك فإنك لا تستطيع أن تجعل فترة الشباب والفتوة هذه تبقى.

فالزمن يملك ولكن لفترة محدودة.. فاذا وصلت إلى مرحلة الشيخوخة فستحتاج إلى من يأخذ بيدك ويعينك.. ربما على أدق حاجاتك وهي الطعام والشراب..

إذن فأنت تبدأ بالطفولة محتاجا إلى غيرك.. وتنتهي بالشيخوخة محتاجا إلى غيرك.. وحتى عندما تكون في شبابك قد يصيبك مرض يقعدك عن الحركة.. فاذا كانت لك ذات حقيقية فأدفع هذا المرض عنك وقل لن امرض.. انك لا تستطيع..

والله سبحانه وتعالى أوجد هذه المتغيرات حتى ينتهي الغرور من الإنسان نفسه.. ويعرف انه قوي قادر بما اخضع الله له من قوانين الكون.. لنعلم أننا جميعا محتاجون إلى القادر، وهو الله سبحانه وتعالى، وان الله غني بذاته عن كل خلقه.. يغير ولا يتغير.. يميت وهو دائم الوجود.. يجعل من بعد قوة ضعفا وهو القوي دائما.. ما عند الناس ينفد وما عنده تبارك وتعالى لا ينفد أبداً.. هو الله في السماوات والأرض.

1- سورة العلق آية: 6_7 .

إذن فليست لك ذاتية حتى تدعي أنك أخضعت الكون بقدراتك.. لأنه ليس لك قدرة أن تبقى على حال واحد وتجعله لا يتبدل ولا يتغير.. فكيف تكفر بالله تبارك وتعالى وتستر وجوده.. كل ما في الكون وما في نفسك شاهد ودليل على وجود الحق سبحانه وتعالى[1].

المطلب الثاني: المسلمات العقلية والأوليات التي يتفق عليها الخصمان في الإلزامات:

قال الشعراوي رحمه الله تعالى: ثم يقول الحق سبحانه: (وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ نَزَّلَ مِنَ السَّمَاءِ)[2]. وهنا أيضاً (اللَّهُ)[3]. لأن إنزال المطر من السماء وإحياء الأرض به بعد موتها آية كونية واضحة لم يدَّعِها أحد، فهي ثابتة لله تعالى، لا يُنكرها أحد حتى الكافرون، فلئن سألتهم هذا السؤال (لَيَقُولُنَّ اللَّهُ)[4]. لذلك يأمرنا الحق سبحانه بأن نقول بعد هذا الإقرار (قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ)[5].الذي أنطقهم بالحق، وأقام عليهم الحجة (بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ)[6].لأنهم أقرُّوا بآيات الله في خَلْق الكون، ومع ذلك كفروا به[7].

المطلب الثالث: الاستدلال العقلي البحت بإيراد قضايا التمانع:

قال الشعراوي رحمه الله تعالى: (أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ)[8]. فإذا كان الجواب: لا هذا ولا هذه، إذن: فلا بد أن هناك خالقاً وموجداً لنا، فإذا جاء لنا الرسول وأبلغنا: إن خالق هذا الكون وخالقنا هو الله، فلا بد أن نصدقه؛ لأنه لم يدَّعِ أحد ولا يستطيع أن يدعي أنه خلق هذا الكون أو خلق نفسه، تماماً كما نكون قد جلسنا في مكان. وبعد أن انصرفنا، وُجدَت حافظة نقود، فجاء صاحب المكان وسأل كل الذين كانوا حاضرين، فنفوا جميعاً ملكيتهم لحافظة النقود، عدا واحداً، حينئذ تكون حافظة النقود ملكه؛ لأنه هو وحده الذي ادعاها ولا يوجد معارض.

وفي خلق السموات والأرض وخلق الإنسان لا يجرؤ بشر أن يعارض الحق سبحانه وتعالى؛ ويدعي أنه خلق. إذن: فالقضية محسومة تماماً لله. هذا هو جهاد الحجة حيث يقتنع العقلاء بالمنطق، أو يقتنع من يستمع إليه فيفهمه، فإذا وصلنا إلى أن الحق سبحانه وتعالى هو الخالق والموجد، يمكننا أن نتساءل: من الذي يضع المنهج للإنسان على الأرض؟ لا بد أن نُقدِّر أن من يضع المنهج للإنسان على الأرض هو خالقه وموجده، تماماً كما نثق أن صانع أي آلة هو الأقدر على وضع أسلوب عملها، فهو يعلم ما يصلحها وما يفسدها.

---

[1] تفسير الشعراوي: (1/ 138-140)

2- سورة العنكبوت آية: 63 .

3- سورة العنكبوت آية: 63 .

4- سورة العنكبوت آية: 63 .

5- سورة العنكبوت آية: 63 .

6- سورة العنكبوت آية: 63 .

[7] تفسير الشعراوي: (18/ 11257)

[8] سورة الطور آية: 35

CC BY

والمثال: أن الإنسان منا يعطي ساعة يده لمن تخصص في إصلاح الساعات، ويستدعي المتخصص في إصلاح الثلاجة إن أصابها عطب، ويستدعي الإنسان كل متخصص لإصلاح الآلة التي درس تفاصيلها، وكل متخصص يعود إلى كتاب التصميم الذي وضعه مَنْ اخترع الآلة، وبيّن فيه ما يصلحها وما يفسدها، ولذلك فأنت لن تستدعي نجاراً ليصلح التليفزيون إذن: فما دام سبحانه وتعالى قد وضع منهجاً فلا بد أن نتبعه؛ لأنه هو موجد هذا الكون وموجدنا، ويعلم ما يصلحنا وما يفسدنا[1].

المطلب الرابع: النظر في دقة توزيع الإجرام السماوية على أوزان علم الفيزياء:

قال الشعراوي رحمه الله تعالى: (لَا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلَا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ) [2].

ونحن في حياتنا حين نرى دقة الصنعة بكثير فيما هو أقل من السماء والشمس والقمر، فنحن نكرِّم الصانع، وقد أكرمت البشرية مصمِّم التلغراف، ومصمم جهاز التليفزيون، فما بالنا بخالق الكون كله سبحانه.

ويكفي أن نعلم أنّ الشمس تبعد عنا مسافة ثماني دقائق ضوئية، والثانية الضوئية تساوي ثلاثمائة ألف كيلوا متر، وهي شمس واحدة تراها، غير آلاف الشموس الأخرى في المجرَّات الأولى، وكل مجرَّة فيها ملايين من المجموعات الشمسية، ويكفي أن تعلم أن الحق سبحانه قد أقسم «بالشمس، وقال عن كوكب الشِّعْرى: (وَأَنَّهُ هُوَ رَبُّ الشِّعْرَى)[3]. لأنّ كوكب الشعرى أكبر من الشمس.

وحين تتأمل السموات والأرض تجد في الأرض جبالاً شامخة، وتمر عليها فتُدْهش من دقة التكوين ودقة التماسك، وتجد في داخلها نفائس ومعادن بدرجات متفاوتة، وقد تجد أسطع الجبال مُكوَّنة من مواد خصبة بشكل هشٍّ، فإذا ما نزل عليها المطر، فهو يصحبها معه إلى الأرض؛ لأنها تكون مجرد ذرات كذرات برادة الحديد، وتتخلل الأرض التي شقَّقتها حرارة الشمس[4].

المطلب الخامس: النظر في بداية الخلق:

قال الشعراوي رحمه الله تعالى: لقد أوجد سبحانه السموات والأرض من عدم وليس لأحد أن يجترئ ليقول الله: كيف خلقت السموات والأرض؟ لأنه سبحانه يقول في آية أخرى:

(مَا أَشْهَدْتُهُمْ خَلْقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَا خَلْقَ أَنْفُسِهِمْ وَمَا كُنْتُ مُتَّخِذَ الْمُضِلِّينَ عَضُدًا)[5]. وأوجد سبحانه السموات والأرض من عدم، فالسماء والأرض ظرف للكون وتم خلقهما قبل الإنسان وقبل سائر الخلق، ولم يشهد خلقهم أحد من

---

[1] تفسير الشعراوي: (9/ 5334)

[2] سورة يس آية: 40.

[3] سورة النجم آية: 49.

[4] تفسير الشعراوي: (10/6235-6236).

[5] سورة الكهف آية: 51.

الخلق، فلا يصح أن يسأل أحد عن كيفية الخلق، بل عليه أن يأخذ خبر الخلق من خالقهما وهو الله. وقد أتى بعض الناس وقالوا: إن الأرض انفصلت عن الشمس ثم بردت، وهذا مجرد ظنون لا تثبت؛ لأن أحداً منهم لم ير خلق السموات والأرض. وهؤلاء هم أهل الظنون الذين يدخلون في قوله تعالى: (وَمَا كُنْتُ مُتَّخِذَ الْمُضِلِّينَ عَضُدًا) [1].

المطلب السادس: الأساليب المتنوعة مما اكتشفه أهل الاختصاص.

قال الشعراوي رحمه الله: إذن: لأهمية المثل في لغة العرب جعله القرآن لَوْناً أسلوبياً، وأداةٍ للإقناعِ، كما في قوله تعالى: (إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِي أَنْ يَضْرِبَ مَثَلًا مَا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا) [2].؛ لأن الله تعالى يخاطب بالقرآن عقولاً مختلفة وطبائع متعددة؛ لذلك لا يستحي أن يضرب المثل بأحقر مخلوقاته لِيُقنِعَ الجميع كُلاً بما يناسبه «وقوله: (فَمَا فَوْقَهَا) [3].قد يقول قائل: ولماذا قال (فَمَا فَوْقَهَا) [4].، فالعجيب هنا مسألة الصِّغَر؟

نقول: المراد بما فوقها.

أي: في المعنى المراد، وهو الصِّغر. أي: ما فوقها في الصِّغر لا أكبر منها.

ثم يأتي بالمعنى في صورة أخرى: (يَا أَيُّهَا النَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَاسْتَمِعُوا لَهُ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَنْ يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَلَوِ اجْتَمَعُوا لَهُ وَإِنْ يَسْلُبْهُمُ الذُّبَابُ شَيْئًا لَا يَسْتَنْقِذُوهُ مِنْهُ ضَعُفَ الطَّالِبُ وَالْمَطْلُوبُ) [5].

وفي آية أخرى يقول سبحانه: (مَثَلُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ كَمَثَلِ الْعَنْكَبُوتِ اتَّخَذَتْ بَيْتًا وَإِنَّ أَوْهَنَ الْبُيُوتِ لَبَيْتُ الْعَنْكَبُوتِ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ) [6].

إذن: يُصرِّف الله الأمثال ويُحوِّلها ليأخذ كل طَبْع ما يناسبه وما يقتنع به، وليس القرآن على وتيرة واحدة أو مزيج واحد يعطي للجميع. بل يُشخّص الداءات ويُحلِّلها ويعالجها بما يناسبها؛ لذلك يأتي الأسلوب مختلفاً[7].

المطلب السابع: الاستدلال بالنظر في أنفسنا:

قال الشعراوي رحمه الله تعالى: (إِنْ نَشَأْ نُنَزِّلْ عَلَيْهِمْ مِنَ السَّمَاءِ آَيَةً فَظَلَّتْ أَعْنَاقُهُمْ لَهَا خَاضِعِينَ)[8]. فلو أراد الله أنّ يخضعنا لمنهجه قهراً لا يستطيع أحد أن يشذ عن طاعته.. وقد أعطانا الله الدليل على ذلك بأن في أجسادنا وفي

[1] سورة الكهف آية: 51.

[2] سورة البقرة آية: 26.

[3] سورة البقرة آية: 26.

[4] سورة البقرة آية: 26.

[5] سورة الحج آية: 73.

[6] سورة العنكبوت آية: 41.

[7] تفسير الشعراوي: (14/ 8737).

[8] سورة الشعراء آية: 4.

أحداث الدنيا ما نحن مقهورون عليه.. فالجسد مقهور لله في أشياء كثيرة. القلب ينبض ويتوقف بأمر الله دون إرادة منا.. والمعدة تهضم الطعام ونحن لا ندري عنها شيئا.. والدورة الدموية في أجسادنا لا إرادة لنا فيها.. وأشياء كثيرة في الجسد البشري كلها مقهورة لله سبحانه وتعالى.. وليس لإرادتنا دخل في عملها.. وما يقع على في الحياة من أحداث أنا مقهور فيه.

الخاتمة:

الحمد لله حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه، كما يحب ربي ويرضى، الحمد لله الذي تتم بنعمته الصالحات. والصلاة والسلام على نبيناً محمد وعلى آله وصحبه صلاة وسلاماً دائمين.

وبعد: فقد انتهيت من دراستي للآراء التجديدية للشيخ محمد متولي الشعراوي في العقيدة، وتوصلت إلى النتائج التالية:

- عاش الشعراوي في القرن الرابع عشر الهجري فهو من العلماء المعاصرين.
- يعتبر من علماء المسلمين وأئمتهم ومن كبار علماء الأزهر في عصره.
- تولى كثيرا من المناصب ومُنح العديد من الجوائز.
- كان له تأثير في نفوس الناس ونال منزلة وقبول كبير بينهم.
- ألقى العديد من المحاضرات بالأمم المتحدة والمراكز الإسلامية بالخارج وفي كثير من الدول.
- تصدى للفلاسفة والمستشرقين وقام بالرد عليهم.
- تأثر الشعراوي بالرازي والزمخشري والنسفي بل اقتبس من أقوالهم.
- اعتمد الشعراوي على الأسلوب الجدلي العقلي في مناقشة مسائل العقيدة.
- اهتم كثيراً بالإعجاز العلمي والنظريات العلمية والعلوم الحديثة وربطها بالآيات القرآنية.
- دافع الشعراوي عن التصوف واعترف بأنه ينتسب لأحد الطرق الصوفية.
- يكثر من الاستدلال بأقوال أهل الفيض والكشف.

المصادر والمراجع:

1. إحياء علوم الدين، المؤلف: أبو حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي (المتوفى: 505هـ)، الناشر: دار المعرفة – بيروت، عدد الأجزاء: 4.
2. أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، محمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر الجكني الشنقيطي (ت: 1393هـ)، (دار الفكر، بيروت – لبنان, 1415 هـ - 1995 م
3. التعريفات، المؤلف: علي بن محمد بن علي الزين الشريف الجرجاني (المتوفى: 816هـ)، المحقق: ضبطه وصححه جماعة من العلماء بإشراف الناشر، الناشر: دار الكتب العلمية بيروت –لبنان، الطبعة: الأولى 1403هـ -1983م، عدد الأجزاء: 1.
4. تفسير الشعراوي – الخواطر، المؤلف: محمد متولي الشعراوي (ت 1418هـ)، الناشر: مطابع أخبار اليوم، عدد الأجزاء: 20.
5. التَّفسير وَالمُفسرون: مُحمد حسين الذهبي (ت 1398هـ) (مكتبة وهبة)، ط7 (2000هـ).
6. تهذيب اللغة: محمد بن أحمد بن الأزهري الهروي، أبو منصور (المتوفى: 370هـ)، المحقق: محمد عوض مرعب، الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت، الطبعة: الأولى، 2001م.
7. الرسالة القشيرية (ص: ١٦٤)، المؤلف: عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك القشيري (المتوفى: 465هـ)، تحقيق: الإمام الدكتور عبد الحليم محمود، الدكتور محمود بن الشريف، الناشر: دار المعارف، القاهرة، عدد الأجزاء: 2.
8. لسان العرب، محمد بن مكرم بن علي أبو الفضل جمال الدين أبن منظور الأنصاري الرويفعي الافريقي (ت: 711 هـ)، دار صادر _ بيروت، ط3 1414هـ، 5 / 369 .
9. المصادر العامة للتلقي عند الصوفية – د. صادق سليم صادق مكتبة الملك فهد الوطنية الرياض – الطبعة الثانية 1427هـ - 2006 م .
10. المعجم الصوفي. تأليف د. عبد المنعم الحفني – دار الرشاد – القاهرة الطبعة الأولى 1417 هـ، 1997م.
11. معجم مقاييس اللغة، المؤلف: أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، أبو الحسين (المتوفى: 395هـ)، المحقق: عبد السلام محمد هارون، الناشر: دار الفكر، عام النشر: 1399هـ - 1979م.، عدد الأجزاء: 6.